النبوغ الفكريّ والأثر العلميّ
لفخر المحقِّقين الحِلِّيّ
(٦٨٢-٧٧١هـ)/(١٢٨٣-١٣٧٠م)

أ.م.د. كاظم جواد المنذريّ
جامعة القادسيَّة/كليَّة التربية

The Intellectual Genius and Scientific Impact of Fakhr Al-Muhaqiqin Al-Hilli (682-771 A.H.) (1283-1370 A.D.)

Asst. Prof. Dr. Kazem Jawad Al-Manthari
University of Al-Qadisiyah/College of Education

ملخَّص البحث

درس هـذا البحث النبوغ الفكريّ والأثر العلميّ لأحد أبرز علماء مدينة الحِلَّة، ألَا وهو الشيخ فخر المحقِّقين، فلو نظرنا إلى حياته لوجدناها فاعلة بالعطاء العلميِّ المتميِّز، وقد وردت سيرته بالتفصيل في كتب التراث الإسلاميّ، ولم يبقَ منها ما يستحقُّ الوقوف عليه، إلَّا محورَيَن مهمَّين ، أوَّلهما النبوغ الفكريّ المبكِّر المتمثِّل بنيله درجة الاجتهاد وهو في مقتبـل العمر، وقد تمَّ تفصيل البحث فيه من خـلال توضيح معنى النبوغ، ومفهوم الاجتهـاد، وما يتعلَّق بالموضـوع، من خلال مباحث في العلوم النفسـيَّة والتربويَّة، أمَّا المحـور الثاني فهو الأثر العلميّ الذي تركه فخر المحقِّقين، المتمثِّل بالمؤلَّفات والمباحث، التي أصبحت مصادرًا مهمَّة للباحثين والعلماء بعده حتَّى عصرنا هذا، وتمَّ إدراج بعض أسـماء العلماء وأهمِّ مؤلَّفاتهم، التي وردت فيها آراء فخر المحقِّقين الحِلِّيّ عِبر السـنوات والقرون حتَّى عصرنا الحاضر.

Abstract

This research studied the intellectual genius and the scientific impact of one of the most prominent scholars in the city of Hilla, namely Sheikh Fakhr Al-Muhaqiqin, If we look at his life, we would find it active with distinguished scientific benevolence, and his biography was mentioned in detail in the books of Islamic heritage, and there is nothing left of it that deserves standing on it except for two important axes, the first of which is the early intellectual brilliance represented by attaining the degree of ijtihad when he was in the prime of his life.

The research has been detailed by clarifying the meaning of genius, the concept of diligence, and what is related to the subject through research in psychological and educational sciences.

As for the second topic, it is the scientific impact left by Fakhr Al-Muhaqqaqiq, which is represented by the literature and research, which became important sources for researchers and scholars after him until our time.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسَلين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد: فإنَّ المراد من دراسة السيرة الذاتيَّة أو العلميَّة لشخصٍ ما، هو تبيان الحياة الفاعلة التي عاشها ذلك الإنسان، وإلَّا فلا فائدة من البحث في أمور وممارسات متشابهة بين البشر، ولو نظرنا إلى حياة فخر المحقِّقين الحِلِّيّ، لوجدناها فاعلة بالعطاء العلميّ المتميِّز، وقد وردت سيرته بالتفصيل في كتب التراث الإسلاميّ، ولم يبقَ منها ما يستحقُّ الوقوف عليه إلَّا محورَين مهمَّين، أوَّلهما النبوغ الفكريّ المبكِّر المتمثِّل بنيله درجة الاجتهاد وهو في مقتبل العمر، وقد فُصِّلَ البحث فيه من توضيح معنى النبوغ، ومفهوم الاجتهاد، وما يتعلَّق بالموضوع، بمباحث في العلوم النفسيَّة والتربويَّة. أمَّا المحور الثاني، فهو الأثر العلميّ الذي تركه فخر المحقِّقين، المتمثِّل بالمؤلَّفات والمباحث، والتي أصبحت مصادرَ مهمَّة للباحثين والعلماء بعده حتَّى عصرنا هذا، وأُدرِجت بعض أسماء العلماء، وأهم مؤلَّفاتهم التي وردت فيها آراء فخر المحقِّقين الحِلِّيّ عبر السنوات والقرون حتَّى عصرنا الحاضر.

ولأجل اكتمال البحث، لا بدَّ من دراسة بعض المواضيع المتعلِّقة فيه، وبشكلٍ مختصر، مثل وصف مدينة الحِلَّة في كتب الرحَّالة الذين زاروها، ووثَّقوا مشاهداتهم بكتبهم، أمثال ابن جبير (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، وابن بطُّوطة (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)،

ومـن الضروري أيضًا الاشـارة إلى تراجم بعض العلماء بعـدَّة اختصاصات في القرنَين السـابع والثامـن، وذلك لأنَّ حياته كانـت في هذَين القرنَين، فيتَّضـح الموقف الفكريّ في ذلـك العصر، وأنَّ المرور بالسـيرة الذاتيَّـة والعلميَّة لفخر المحقِّقـين ضروريٌّ جدًّا، ولكن باختصار شديد مع إضافة موضوع يتطرَّق لأهمِّ آرائه العلميَّة في ثلاثة اتِّجاهات، الفلك، والتفسير، والفقه؛ للدلالة على موسوعيَّته العلميَّة في مختلف الاختصاصات.

وقـد خرج البحث بنتائج مهمَّة، مدوَّنة في الخاتمة، وبين السـطور، أهمَّها: لقد ثبت أنَّ فخر المحقِّقين يمثِّل حزمة ضوء على طريق الفكر الإسلاميّ، منذ أن بزغ نوره وحتَّى عصرنا هذا.

ولا بـدَّ من الإشـارة إلى أنَّ البحـث يمتاز بوحدة الموضوع، فلا مجال لتقسـيمه إلى مباحث أو محاور، وإنَّما عناوين فرعيَّة متَّصلة فيما بينها، والحمد لله ربِّ العالمين.

مدينة الحِلَّة في كتب التراث الإسلاميّ

الحِلَّة مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، كانت تسمَّى (الجامعين)[١]، وقد ذكر المقدسيّ الجامعين ضمن مدن الكوفة في إقليم العراق[٢]، كان قد اختارها سيف الدولة صدقة بن منصور الأسديّ[٣]، ونزل بها بأهله وعساكره عام ٥٩٤ هجريَّة[٤]، وبعد هذا التاريخ أصبحت مدينة عامرة بمقوِّمات الحياة كلِّها، وقد زارها الرَّحَّالة، ووصفوها في كتبهم، ومنهم ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) الذي ذكرها بقوله: «مدينة كبيرة عتيقة الوضع، مستطيلة، لم يبقَ من سورها[٥] إلَّا حلقٌ من جدارٍ ترابيٍّ مستديرٍ بها، وفي المدينة أسواق مفيدة جامعة لمرافق المدنية والصناعات الضروريَّة، وهي قويَّة العمارة، كثيرة

(١) الحمويّ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٦م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت: ٢/ ٢٩٤.

(٢) المقدسّي، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق: محمَّد أمين الضنَّاويّ، (ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م): ١٠٦.

(٣) صدقة بن منصور بن دبيس المزيديّ الأسديّ، أبو الحسن، سيف الدولة (ت٥٠١هـ/ ١١٠٨م)، كان أديبًا جوادًا، من نجباء العرب، استولى على كثير من بلاد العراق، كان دبيس شيعيًّا كآباءه. الذهبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، (ط٩، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م): ١٩/ ٦١٣، الزركليّ، خير الدين، الأعلام، (ط٥، دار العلم للملايين، بيروت): ٣/ ٢٠٣.

(٤) الحمويّ، معجم البلدان: ٢/ ٢٩٤.

(٥) سور مدينة الحِلَّة: روي عن رضيِّ الدين عليّ بن المطهَّر الحِلِّيّ: «في سنة ٤٩٣هـ عمَّر سيف الدولة أرض الحِلَّة، وهي آجام، ووضع أساس الدور والأبواب، ونزلها سنة ٤٩٥هـ، وحفر الخندق حولها سنة ٤٩٨هـ، وقد كان وضع سور الحِلَّة في ٢١ رمضان سنة ٥٠٠ للهجرة» يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة، الناشر: محمَّد صادق الكتبيّ: ١/ ٣٢.

الخلق، متَّصلة حدائق النخيل داخلًا وخارجًا، فديارها بين حدائق النخيل، وإلفينا بها جسرًا عظيمًا معقودًا على مراكب كِبار متَّصلة على الشَّطِّ، تحفُّ بها من جانبها سلاسل من حديد كالأذرع المفتولة عِظَمًا وضخامةً، ترتبط بخشب مثبَّت في كِلَا الشَّطَّين، تدلُّ على عِظَم الاستطاعة والقدرة، أمر الخليفة بعقده على الفرات؛ اهتماما بالحاجِّ، واعتناءً بسبيله، وكانوا قبل ذلك يعبرون في المراكب»[1]. وكذلك زارها ابن بطُّوطة (٧٠٣-٧٧٩هـ/ ١٣٠٤-١٣٧٧م)، إذ قال: «فنزلنا مدينة الحِلَّة، وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات، وهو بشرقيِّها، ولها أسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات، وهي كثيرة العمارة، وحدائق النخيل منتظمة بها داخلًا وخارجًا، ودورها بين الحدائق، ولها جسر عظيم معقود على مراكب متَّصلة منتظمة فيما بين الشَّطَّين، تحفُّ بها من جانبيها سلاسل من حديد مربوطة في كِلَا الشَّطَّين إلى خشبة عظيمة مثبَّتة بالساحل، وأهل هذه المدينة كلُّهم إماميَّة اثنا عشريَّة»[2].

إنَّ إنشاء الجسر على نهر الفرات إنَّما هو لخدمة الحاجِّ كما تقدَّم، وهذا يعني أنَّ الحجيج المجتمعين في بغداد يمرُّون بمدينة الحِلَّة إلى الديار المقدَّسة وبالعكس، وهذا يحقِّق موردًا اقتصاديًّا مهمًّا للمدينة، إذ يتمُّ التبادل التجاريّ، علمًا أنَّ المادة التجاريَّة المعتمدة في السوق هي من نتاج مدينة الحِلَّة، فتكون إمَّا زراعيَّة أو صناعيَّة، فالزراعة فيها قائمة طالما أنَّها على ضفاف نهر الفرات، فتكون أرضها خصبة مشجِّعة على زراعة النباتات بأنواعها، ومن البديهيّ أن يكون سكَّان المناطق الزراعيَّة يمتلكون الخبرة في التعامل مع محاصيلهم في حفظها وتسويقها، وإحدى طرق الحفظ هي تجفيف

(١) ابن جبير، محمَّد بن أحمد بن جبير الكنانيّ (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، (دار التراث، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م): ١٦٩-١٧٠.

(٢) ابن بطُّوطة، أبو عبد الله محمَّد بن إبراهيم اللواتيّ (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطُّوطة، تقديم: كرم البستانيّ، (دار صادر، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٩٠م): ٢٢٠.

المحصـول؛ ليتمكَّنـوا من خزنه صالحًا للاسـتعمال، أو حمله إلى مناطـق أخرى دون أن يُصـاب بالتَّلف، وهذه الخـبرة في العمل ممكن أن تـزداد نتيجة التأثُّـر والتأثير بالأقوام الأخـرى، وخصوصًـا أنَّ الحجَّاج القادمـين من أقصى بلاد المشرق الإسـلاميّ يمرُّون بمدينة الحِلَّة، كما مرَّ سـابقًا، وهم يحملون أفكارًا علميَّة ناتجة عن الخبرة التي يمتلكونها من ممارسـتهم لأعمالهم، فيحصل تبـادل الأفكار بينهم، وهذا شـأن المدن المنفتحة على العـالم الخارجيّ، فتكـون أفكار أهلها أكثر نضوجًا، وتتطوَّر باسـتمرار، ومن المقوِّمات الأخرى التي تُنعِش الجانب الاقتصاديّ، هو موقع مدينة الحِلَّة، فهي متوسِّطة بين ثلاث مـدن مهمَّة، بغداد، وكربـلاء، والكوفة، وهذا ما يعمِّق التبادل التجاريّ مع هذه المدن، إضافة إلى الطريق المائيّ الذي يربط الحِلَّة بمدن ساحل الفرات، والذي يؤدِّي إلى مدينة البصرة، فتكون السـفن التجاريَّة إحدى وسـائل النقل لتحقيق التبادل التجاريّ، الذي أسهم بشكلٍ فاعلٍ في إنعاش الاقتصاد في مدينة الحِلَّة[1].

وممَّـا انمازت به مدينة الحِلَّة عن غيرها، هو الجو المعتدل، وطيب الهواء، وهو نتيجة طبيعيَّـة لمـا تحتوي من زراعـة كثيفة، ووفرة في المياه، وهذا يشـجِّع عـلى حركة عمرانيَّة مسـتمرَّة، فقد ورد في مصادر التاريخ أنَّ الخليفة المسـتعصم بالله العبَّاسيّ (٦٤٠-٦٥٦ هجريَّـة) قد بنى دارًا فيها على نهر الفرات[2]، ومن الجدير بالذِّكر أن نُشـير إلى أنَّ مدينة الحِلَّـة قد رافقها نوع من الاسـتقرار السـياسيّ، وهذا ما أشـار إليـه الباحثون في تاريخ

(١) لمعرفـة المزيد عن مميِّـزات الحِلَّة، ينظر: هناء كاظم الربيعيّ، أثر مدينـة الحِلَّة على الحياة الفكريَّة في العراق (من القرن السادس إلى نهاية القرن الثامن الهجريَّين)، أطروحة دكتوراه، كليَّة التربية، الجامعة المستنصريَّة: ٢١-٢٧.

(٢) ابـن الفوطيّ، كمال الدين أبو الفضل عبد الـرزَّاق البغداديّ (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السـابعة، تحقيق: د. مصطفى جواد، (مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥١هـ): ٢٦١.

الحِلَّـة، ولا يسـع البحـث في التفاصيل، ولكن يمكـن للقارئ أن يراجـع كتاب تاريخ الحِلَّة[١].

نسـتنتج ممَّا تقدَّم أنَّ مدينـة الحِلَّة تمتلك من المؤهِّلات التي تـؤدِّي إلى نهضة فكريَّة شـاملة، فهي موضع اسـتقطاب العلماء، وقيام الحلقات العلميَّة في عدَّة اختصاصات، حتَّى أصبحت مصدرًا لإشـعاع العلم إلى المدن الإسلامية الأخرى، وقد امتلأت كتب تراجـم الرجـال بذِكر علمائهـا على مرِّ العصـور منذ تأسيسـها وحتَّى عصرنـا هذا[٢]، ولأجل أن لا نبخس حقَّ العلماء، وكشـف هويَّة الحِلَّـة العملية، لابد لنا من ذكر طائفة من علمائها.

(١) للمزيد عن الحياة السياسـية في مدينة الحِلَّة ينظر: كركوش، تاريخ الحِلَّة، القسـم الأول (الحياة السياسية).

(٢) ينظر: ابن داوود، تقي الدين الحسن بن علي بن داوود الحِلّيّ (ت٧٤٠هـ/ ١٣٣٨م)، رجال ابن داوود الحِلّيّ، (المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

علماء الحِلَّة في القرنَين السابع والثامن الهجريَّين

أنجبت مدينة الحِلَّة رجالًا، بلغوا من العلم ما يُشار إليهم بالبنان، وأنتج هؤلاء العلماء من المؤلَّفات ما أدَّى إلى نهضة علميَّة واسعة، تلك النهضة التي بلغ شعاع نورها إلى عدَّة مدن إسلاميَّة، ومن ذلك النور ما نستنير به الآن في عصرنا الحاضر، فهي حاضرة بعلم رجالها في الماضي والحاضر، وتمتدُّ بإذن الله إلى مستقبلٍ ترتفعُ فيه درجاتٍ بين الأمم الأخرى.

ولأجل الإشارة إلى بعض رموز العلم فيها، لا بدَّ لنا أن نترجم لأبرز علمائها في القرنَين السابع والثامن الهجريَّين:

١. ابن طاووس (ت ٦٧٣هجريَّة/ ١٢٧٤م): أحمد بن موسى بن جعفر بن محمَّد ابن طاووس العلويّ الحسنيّ الحِلِّيّ، جمال الدين، من فقهاء الإماميَّة ومحدِّثيهم، له شعر وعلم بالأدب، خلَّف أكثر من ثمانين مجلَّدًا في مختلف العلوم والرواية والرجال، منها: بشرى المحقِّقين (ستَّة مجلَّدات في الفقه) الإزهار في شرح لاميَّة مهيار (في الأدب)، حلُّ الإشكال في معرفة الرجال (تراجم رجال الحديث)، وغيرها[1].

٢. المحقِّق الحِلِّيّ (ت ٦٧٦هجريَّة/ ١٢٧٧م): جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الهذليّ الحِلِّيّ، نجم الدين، أبو القاسم المحقِّق المدقِّق، كان ألسن أهل زمانه وأقومهم بالحجَّة، وأسرعهم استحضارًا، قال ابن داوود عنه: «قرأت عليه، وربَّاني صغيرًا، وكان

(١) الخاقانيّ، عليّ (ت ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)، رجال الخاقانيّ، تحقيق: محمَّد صادق بحر العلوم، (ط٢، مركز الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٤٠٤هـ): ٩، الزركليّ، الأعلام: ١/ ٦١.

له عليَّ إحسانٌ عظيم والتفات، وأجازني جميع ما صنَّفه وقرأه ورواه، وكلُّ ما تصحُّ روايته عنه».

من تصانيفه: شرائح الإسلام في مسائل الحلال والحرام، نكت النهاية، أصول الدين، المسلك في الأصول، وغيرها[١].

٣. ابن المطهَّر الحِلِّيّ (ت٧٢٦هجريَّة/ ١٣٢٥م): الحسن، ويُقال الحسين، بن عليّ ابن المطهَّر الحِلِّيّ، جمال الدين، يُعرف بالعلَّامة، من أئمَّة الشيعة، وأحد كبار العلماء، نسبته إلى الحِلَّة، وكان من سكَّانها، مولده ووفاته فيها، له كتب كثيرة منها:

(تبصرة المتعلِّمين في أحكام الدين)، (تهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول)، (نهاية الوصول إلى علم الأصول)، (قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام)، (مختلف الشيعة في أحكام الشريعة)، (أنوار الملكوت في شرح الياقوت)، (الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة)، (مصابيح الأنوار)، وغيرها[٢].

٤. صفيّ الدِّين الحِلِّيّ (ت ٧٥٠ هجريَّة/ ١٣٤٩م): عبد العزيز بن سرايا بن عليّ ابن القاسم السنبسيّ الطائيّ، شاعر عصره، ولِد ونشأ في الحِلَّة، ومهر في فنون الشعر كلِّها، وتعلَّم المعاني والبيان، وصنف فيها، وعمل بالتجارة، وكان يرحل إلى الشام ومصر وغيرها، ثمَّ يرجع إلى بلاده، مدح السلطان الملك الناصر، توفِّي في بغداد.

له: ديوان شعر، رسالة في الزجل والموالي، معجم الأغلاط اللغويَّة، درر النحو... وغيرها[٣].

(١) رجال ابن داوود: ٦١، الزركليّ، الأعلام: ٢/ ١٢٣.
(٢) الزركليّ، الأعلام: ٤/ ١٨.
(٣) عبَّاس القمِّي، الكنى والألقاب، (مكتبة الصدر، طهران): ٢/ ٤٢١، الزركليّ، الأعلام: ٤/ ١٨.

٥. الديباجيّ (ت ٧٧٦ هجريَّة/ ١٣٧٤م): محمَّد بن القاسم بن الحسنيّ بن معيَّة الحسنيّ الحِلِّيّ الديباجيّ، أبو عبد الله تاج الدين، المعروف بابن معيَّة، قال عنه الشهيد الأوَّل في بعض إجازاته بأنَّه أُعجوبة الزمان في جميع الفضائل والمآثر، كانت وفاته في الحِلَّة، وحُمِل إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام.

له: أخبار الأمم (واحد وعشرون مجلَّدًا ولم يتمِّمه)، الفلك المشحون في أنساب القبائل والبطون، تذييل الأعقاب في الأنساب، الثمرة الظاهرة في الشجرة الطاهرة[١].

ولأجل توضيح صورة مدينة الحِلَّة العلميَّة أكثر، أضع بين يدي القارئ الكريم قائمة بأسماء نخبة من العلماء والأدباء، منهم مَن ولِد في الحِلَّة، ومنهم من نشأ فيها أو توفِّي بها، مع الإشارة إلى أهمِّ آثارهم العلميَّة، وهو دليل على أنَّ مدينة الحِلَّة مُنتجة للعلماء والأدباء على مرِّ العصور، منذ أن تأسست، وإلى يومنا هذا، مع ملاحظة أنَّ القائمة تُشير إلى بعض علماء القرنَين السابع والثامن الهجريَّين، وهو ما يتعلَّق بنطاق البحث.

١. **أبو الوفاء، راجح بن إسماعيل الأسدي الحِلِّيّ**: ولِد سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، توفِّي سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م في حلب، شاعر[٢].

٢. **ابن الخيميّ، محمَّد بن علي بن علي أبو طالب، مهذب الدين الحِلِّيّ**: ولِد سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م في الحِلَّة، توفِّي سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٥م في القاهرة، عالِم بالأدب، له (أمثال القرآن)، (المؤانسة في المقايسة)، (المخلص الديوانيّ)، (المطاول) في الردِّ على أبي العلاء المعري، وغيرها[٣].

(١) رجال ابن داوود: ٨، الزركليّ، الأعلام: ٧/ ٥.
(٢) الزركليّ، الأعلام: ٣/ ١٠.
(٣) ابن ناصر الدين، شمس الدين محمَّد بن عبد الله بن محمَّد القيسي، توضيح المشتبه في ضبط=

٣. **ابن كمُّونه، سعيد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله، عز الدولة**: ولِد في بغداد، توفِّي سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م في الحِلَّة، كيميائيّ، له اشتغال بالمنطق والحكمة، له: (تذكرة في الكيمياء)، (شرح تلويحات السهروورديّ في الحكمة)، (المنطق والطبيعي مع الحكمة الجديدة)، وغيرها[١].

٤. **ابن سعيد، يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد، نجيب الدين الحِلِّيّ الهذليّ**: ولِد سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٥م، توفِّي سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، فقيه أماميّ، عالم باللغة والآداب. له: (جامع الشرايع) في فقه الشيعة، (آداب السفر)، (نزهة الناظر في الجمع بين الأشياء والنظائر)، (المدخل إلى أصول الفقه)، وغيرها[٢].

٥. ابن المعمَّار، عبد الله بن إسماعيل الأسديّ البغداديّ، ولِد في بغداد، توفِّي سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م في الحِلَّة، كاتب، أديب، نُعِت بالفيلسوف، له شعر[٣].

٦. **ابن النعال، محمَّد بن الحسين بن أحمد بن الحسين، شمس الدين الحِلِّيّ**: ولِد سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م في الحِلَّة، توفِّي تقريبا ٧٨٨هـ/ ١٣٨٧م، أديب، شاعر[٤].

=أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكُناهم، تحقيق: محمَّد نعيم العرقسوسيّ، (ط١، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م): ٣/ ٣٧٨، الزركليّ، الأعلام: ٦/ ٢٨٢.

(١) الزركليّ، الأعلام: ٣/ ١٠٢-١٠٣.

(٢) المرجع نفسه: ٨/ ١٣٥.

(٣) المرجع نفسه: ٤/ ٧٢.

(٤) العسقلانيّ، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تقديم: محمَّد سيِّد جاد الحق، (مطبعة المدنيّ، مصر، دار الكتب الحديثة): ٤/ ٤٧، رقم ٣٦٥٩.

٧. **ابـن العتائقيّ، عبـد الرحمن بن محمَّد بن إبراهيم**: ولد سـنة ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م في الحِلَّة، توفِّي سـنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م، فلسفة وتأريخ، له مختصرات من كتب غـيره، (الأعـمار) مختصر تغير علي بـن إبراهيم، (شرح الإيلاقـي) في الطبِّ، (شرح نهـج البلاغـة)، (التصريح في شرح التلويـح) في الطبِّ، (شرح صفوة المعارف) في علم الهيئة[1].

(١) النمازي، علي بن محمَّد بن إسـماعيل، مستدرك سـفينة البحار، (ط٣، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم المشرَّفة): ١/ ٧٦، الزركليّ، الأعلام: ٣/ ٣٣٠.

فخر المحقِّقين الحِلِّيّ (حياته وآثاره)

لا زالت مدينة الحِلَّة تفتخر برجال الفكر الذين لمع ذِكرهم في القرون الماضية، ولازالت أنوارهم ساطعة تنير الطريق لسالكي دروب العلم والمعرفة، من هؤلاء الأنوار، فخر المحقِّقين الحِلِّيّ، الذي يستحقُّ الوقوف على حياته وآثاره، لما تميَّز به عن غيره من العلماء.

حياته

اسمه ونسبه: هو محمَّد بن الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهَّر الحِلِّيّ، والده المطهَّر الحِلِّيّ، ورد ذِكره في العنوان السابق، كنيته: أبو طالب، اشتهر بلقبه فخر المحقِّقين[١]، برغم أنَّ هناك من العلماء من حمل هذا اللقب[٢]، إلَّا أنَّ المشهور في الوسط العلميّ هو ابن العلَّامة الحِلِّيّ، الذي نحن بصدد الحديث عنه.

ولادته ووفاته: ولِد فخر المحقِّقين، كما ورد بخطِّ والده العلَّامة الحِلِّيّ: «قريبًا من نصف ليلة العشرين من جمادي الأولى سنة ٦٨٢هـ[٣].

(١) ينظر: التفريشيّ، مصطفى بن الحسين الحسينيّ (القرن ١١ الهجريّ)، نقد الرجال، (ط١، مطبعة ستاره، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، ١٤١٨هـ): ٤/ ١٨٣.

(٢) ورد في كتب التراث الإسلاميّ أسماء مجموعة من العلماء ممَّن اشتهروا بلقب فخر المحقِّقين، منهم: شمس الدين محمَّد العامليّ، صاحب كتاب مدارك الأحكام، ورد ذِكره في كتاب بحار الأنوار للمجلسي، محمَّد باقر بن محمَّد تقي الاصفهانيّ (ت١١١١هـ/ ١٧٠٠م)، (ط٢، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م): ١٠٧/ ١٥٩، وكذلك العالم الفاضل حسام الدين بن جمال الدين الطريحيّ النجفيّ المسلميّ، فخر المحقِّقين الثاني، ورد ذِكره في خاتمة المستدرك: ٢/ ٧٤، وغيرهم.

(٣) بحر العلوم، محمَّد المهدي الطبطبائيّ (ت١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م)، الفوائد الرجاليَّة، تحقيق:=

هـذا التاريـخ يصادف يوم الأحـد الخامس عشر من آب سـنة ١٢٨٣م، وبلغ من العمر تسـعًا وثمانين عامًا، حيث وافـاه الأجل في جمادى الآخرة من عام ٧٧١هـ[١]، أي في كانون الثاني سنة ١٣٧٠م.

عـاش في كنـف أبيه الـذي ملأ الدنيـا ذِكـره، واهتـمَّ بتعليمه، وأحـضره مجالس درسـه، فسـمع عليـه كتابـه (نهاية الإحـكام في معرفـة الأحـكام)[٢]، وقرأ عليـه كتبًا كثيرة[٣].

نـال فخـر المحقِّقـين الحِـلِّيّ الاجتهـاد في وقـتٍ مبكِّر، وتلمـذ على يـده عدد من طـلَّاب العلـم الذين أصبحوا قادة الأمَّـة في ميادين العلم والمعرفة، وتـرك آثارًا علميَّة لا تخفـى على العلـماء والباحثين بعده، وسـيأتي تفصيل ذلك في صفحـات هذا البحث المتواضع.

=محمَّـد صـادق بحـر العلـوم، النـاشر: مكتبـة الصـادق، (ط١، مطبعـة أفتـاب، طهـران): ٢/ ٢٨٠.

(١) آقا بزرك الطهرانيّ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الاضواء، بيروت: ٢/ ٣٢.

(٢) كتاب (نهاية الإحكام في معرفة الأحكام): كتاب في الفقه، من مؤلَّفات العلَّامة الحِلِّيّ أعلى الله مقامـه، وضع المحقِّق ترجمة للمؤلِّف في بداية الكتاب، ومن ثمَّ تبدأ أبوابه في الوضوء والغسـل والصـلاة وغيرهـا، تحت عنوان كتاب الوضوء، وكتاب الغسـل، وهكذا. العلَّامـة الحِلِّيّ، نهاية الإحـكام في معرفـة الأحـكام، تحقيق: مهـدي الرجائيّ، (مؤسَّسـة آل البيت لاحيـاء التراث، قم).

(٣) اللجنـة العلميّة في مؤسَّسـة الإمـام الصادق عليه السلام، موسـوعة طبقات الفقهـاء، إشراف: جعفر السبحانيّ، (ط١، مطبعة اعتماد، قم، ١٤١٩هـ): ٨/ ١٩١.

النبوغ الفكريّ المبكِّر عند فخر المحقّقين الحِلّيّ

النبوغ كلمة أصلها الثلاثي (نبغ)، وقد ورد في كلام العرب: نبغ الشيء ينبغ نبوغًا: أي ظهر، ونبغ الرجل في الشعر: إذا قال الشعر وأجاد، ومنه سُمِّي النوابغ من الشعراء، النابغة الذبيانيّ، كان في زمن النعمان بن المنذر(١).

وقد وضع العلماء تعريفات عديدة للنبوغ، كلٌّ بحسب وجهة نظره، إلَّا أنَّ هذه التعريفات كلُّها تعكس فكر النابغة، فيرى بعض العلماء، النبوغ هو استعداد عجيب لتمركز الحواس في موضوعٍ وهدفٍ واحدٍ(٢)، وقال أديسون(٣): النبوغ واحد بالمئة الهام، وتسعة وتسعين بالمئة عَرَق الجبين(٤)، وقال آخر: النبوغ شعلة في وجود النابغة تحرق أعماق وجوده، ويرى عالم آخر: أنَّ النبوغ هو الاستعداد في الرشد والتكامل(٥).

من هذه التعريفات يكون النابغة قد أحدث علمًا أو فنًّا لم يكن شيئًا معروفًا من قبل، أو أنَّه قد طرح أفكارًا علميَّة جديدة، مدعومة بأدلَّة لا تقبل الشكَّ، فيقتنع بها الدارس

(١) فخر الدين الطريحيّ (ت ١٠٨٥هـ/ ١٦٨٥م)، مجمع البحرين، (ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٥م): ٥/ ١٧ مادَّة نبغ.

(٢) عادل العلويّ، النبوغ وسرُّ النجاح في الحياة، المؤسَّسة الإسلاميَّة العامَّة للتبليغ والإرشاد، قم، ١٣٧٨هـ: ٤.

(٣) أديسون، توماس ألفا (١٨٤٧-١٩٣١م): اشهر مخترع أمريكي في التاريخ، لم ينل من التعليم الرسميّ أكثر من ثلاثة أشهر فقط، لكنَّه غيَّر حياة الملايين من البشر، باختراعات منها: المصباح الكهربائيّ، ومشغِّل الاسطوانات، وسجَّل ما مجموعه ١٠٩٣ اختراعًا. (الموسوعة العربيَّة العالميَّة).

(٤) النبوغ وسرُّ النجاح في الحياة: ٤.

(٥) ينظر: المرجع نفسه: ٤.

والباحث في ذلك التخصُّص، ويرى الباحثون في هذا المضمار أنَّ هناك ظروفًا ومسبِّبات ساعدت على نشأة النابغة في مجتمعه، منها:

- أن ينشـأ الذكيّ في درس أستاذ يطلق له العنان في البحث، ويردُّه إلى الصواب برِفق، ويثني عليه إن ناقش فأصاب المرمى.
- أن يعيـش بين قوم يقدِّرون النوابغ، فإن نظـر القوم إلى النابغة بعين الإجلال، وأقبلوا عليه باحتفاء، زاد ذلك الناشئين الأذكياء قوَّة على الجدِّ في طلب العلم، والسعي في الوصول إلى درجات الكمال.
- نشأة الذكي في حاضرة زاخرة بالعلوم والآداب، إذ في الحواضر يلاقي الناشئ جهابذة العلماء، فيشـتدُّ التنافس في العلوم والفنون، ويتَّسـع مجال المحاورات والمناظرات.
- مطالعة تراجـم النابغين المحرَّرة بأقلام تشرح نواحي نبوغهم، وتصف آثاره، منها مؤلَّفاتهم المنقطعة النظير.
- وهنـاك عوامـل أخـرى، مثـل الرحـلات والتقلُّـب في كثـير مـن البـلاد، ولاسـيما بـلادًا تختلـف بعاداتها، وأسـاليب تربيتهـا، ومناهج حياتهـا العلميَّة والسياسيَّة[1].

وقد سـجَّل التاريخ لنا أسماء وتراجم لشـخصيَّات تميَّزت عن غيرها، بما تملك من النبـوغ الفكـريّ في كلِّ زمانٍ ومكان، وفيما يأتي أسـماء بعض هـؤلاء النوابغ، مع ترجمة مختصرة لحياتهم:

(١) ينظر: محمَّد الخضر حسين، النبوغ في العلوم والفنون، موسوعة الدرر السنيَّة: ١٤٤. article/Dorar. net.

١. **أرسطو طاليس (٣٨٤-٣٢٢ ق.م)**: فيلسوف يونانيّ من كبار مفكِّري البشريَّة، تأثَّرت بوادر التفكير العربيّ بتآليفه التي نقلها إلى العربيَّة النَّقَلة السريان، وأهمُّهم إسحاق بن حنين، مؤلَّفاته في المنطق والطبيعيَّات والإلهيَّات والأخلاق، أهمها: المقولات، الجدل، الخطابة، السماء والعالم، الكون والفساد، كتاب ما بعد الطبيعة[١].

٢. **ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن سينا (ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م)**: أبو عليّ، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس، كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل منها إلى بخارى، وولِد الرئيس أبو علي وأخوه فيها، تنقَّل الرئيس في البلاد، واشتغل بالعلوم، وحصل على الفنون، ولـمَّا بلغ عشر سنين من عمره، كان قد أتقن علم القرآن العزيز والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين، وحساب الهندسة والجبر، والمقابلة... ثـمَّ رغب بعد ذلك في علم الطبِّ، وتأمُّل الكتب المصنَّفة فيه، وعالج تأدُّبا لا تكسُّبًا... واختلف إليه فضلاء هذا الفن وكبراؤه يقرؤون عليه أنواعه، والمعالجات المقتبسة من التجربة، وسِنُّه إذ ذاك نحو ستَّ عشرة سنة[٢].

٣. **ابن الهيثم، محمَّد بن الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)**: وقيل الحسن ابن الحسن بن الهيثم، أبو عليّ المهندس البصريّ، نزيل مصر، صاحب التآليف والتصانيف في علم الهندسة، وكان عالـمًا متقنًا متفنِّنًا فيه، قيِّمًا بغوامضه ومعانيه، مشاركًا في علوم الأوائل، أخذ الناس عنه واستفادوا، يلقَّب بطليموس الثاني،

(١) اليسوعيّ، فرديناند توتل، المنجد في الآداب والعلوم، المطبعة الكاثوليكيَّة، بيروت: ١٤-١٥.
(٢) ابن خلِّكان، أبو العبَّاس شمس الدين أحمد بن محمَّد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت: ٢/ ١٥٧-١٥٨، الزركليّ، الأعلام: ٢/ ٢٤١.

كتبه تزيد على السبعين، منها: (كيفيَّة الإظلال) تُرجِم إلى الألمانيَّة، (تهذيب المجسطي)، و(الشكوك على بطليموس)، و(الأخلاق) رسالة، قال البيهقيّ: ما سبقه بها أحد[1].

٤. **ابن باجة، محمَّد بن يحيى بن باجة (ت ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م)**: أبو بكر بن الصائغ الأندلسيّ السرقسيّ، المعروف بابن الصائغ، الفيلسوف الشاعر المشهور، كان مع اشتغاله بالفلسفة والطبيعيَّات والفلك والطبِّ والموسيقى، شاعرًا مجيدًا، عارفًا بالأنساب، شرح كثيرًا من الكتب، ذكرها ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطبَّاء، ضاع أكثرها[2].

٥. **ابن الطفيل، أبو بكر محمَّد بن عبد الملك بن محمَّد بن محمَّد بن طفيل القيسيّ الأندلسيّ (٤٩٤-٥٨١هـ) = (١١٠٠-١١٨٥م)**: فيلسوف ولِد في وادي آش، وتعلَّم الطبَّ في غرناطة، ثمَّ أصبح طبيبًا للسلطان أبي يعقوب يوسف (من الموحِّدين) سنة ٥٥٨هـ، واستمرَّ إلى أن توفِّي في مراكش، وهو صاحب القصَّة الفلسفيَّة (حي بن يقظان)، له تصانيف في أنواع الفلسفة من الطبيعيَّات والإلهيَّات، وغير ذلك[3].

هؤلاء نموذج لنخبة من العلماء الفلاسفة الذين أشار إليهم التاريخ؛ لنبوغهم الفكريّ المتميِّز، وكما نرى في تراجمهم، أنَّهم باختصاصات متعدِّدة، وفي مناطق مختلفة من بقاع الارض، وقد ظهر الكثير من أمثالهم في مختلف العصور والأمصار، إلَّا أن البحث لا يسع ذِكرهم.

(١) القفطيّ، جمال الدين أبو الحسن عليّ بن يوسف الشيبانّي (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، تاريخ الحكماء، منشورات مكتبة المثنَّى، بغداد: ٤١٠-٤١١، الزركليّ، الأعلام: ٦/ ٨٣.

(٢) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان: ٤/ ٤٢٩.

(٣) الزركليّ، الأعلام: ٦/ ٣٤٩.

ولـو نظرنا إلى تاريخ مدينة الحِلَّة، لوجدناه مضيئًا بالسـيرة العلميَّة لفخر المحقِّقين ابـن العلَّامـة الحِـلِّيّ (ت٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)، وكان الشـيخ عبَّـاس القمِّيّ قـد أورد في ترجمتـه العبارة الآتية: «فاز بدرجة الاجتهاد في السـنة العـاشرة من عمره الشريف»[١]، وورد في كتـاب آخـر: «ولاحـت عليه إمارات الـذكاء ونبغ، وتبحَّـر في الفقه، وعرف غوامضه، وبرع في سـائر علوم الشريعة، حتَّـى نال رتبة الاجتهاد، وهو لازال في مقتبل عمره»[٢].

ولأجل معرفة قيمة هذَين النصَّين، علينا أن نفهم معنى مصطلح الاجتهاد والعلوم التي يجب أن يتقنها الطالب؛ ليصل إلى هذه المرتبة.

الاجتهـاد كما ورد في كتـب اللغة، معنـاه: المبالغة في الجهد، ونقـل في الاصطلاح إلى اسـتفراغ الوسـع فيـما فيـه مشـقَّة لتحصيـل ظـنٍّ شرعـيّ، والمجتهد اسـم فاعل، وهـو العـالم بالأحـكام الشرعيَّـة الفرعيَّـة عـن أدلَّتهـا التفصيليَّـة بالقـوَّة القريبة من الفعل[٣].

وكان بعـض الأصوليِّين، ومنهم البهائيّ، يرى أنَّ الاجتهاد هو مَلَكَة يُقتدَر بها على استنباط الحكم الشرعيّ الفرعيّ من الأصل فعلًا، أو قوَّة قريبة[٤].

أمَّـا المراحل التي يجب أن يجتازهـا الطالب، والدروس التي يجب أن يتقنها؛ ليصل إلى درجة الاجتهاد، فهي:

(١) القمِّي، الكنى والألقاب: ٢/ ٤٢١.
(٢) طبقات الفقهاء: ٨/ ١٩١.
(٣) الطريحي، مجمع البحرين: ٣/ ٣٠-٣١، مادة جهد.
(٤) السلاميّ، عبَّاس الأنصاريّ، مباحث في الاجتهاد، (ط١، مطبعة ثامن الحجج عليه السلام، ١٤٣٩هـ): ٨٦، نقلًا عن: الشيخ البهائيّ، محمَّد حسن عبد الصمد العامليّ، زبدة الأصول، المنهج الرابع في الاجتهاد والتقليد: ١٥٩.

المرحلة الأولى: مرحلة المقدِّمات

تتولَّى هذه المرحلة دراسة المقدِّمات والعلوم التمهيديَّة التي تؤهِل الطالب لفهم النصوص القرآنيَّة والأحاديث المعتبرة، مثل النحو، وعلم الصَّرف، والبلاغة، وعلم المنطق، وغيرها، أمَّا الكتب التي تُدرَّس، فهي الأجروميَّة، وقطر الندى، وشرح ابن عقيل، والمختصر، والرسالة العمليَّة في الفقه، ومنطق المظفَّر، وغيرها، وتستمر الدراسة للعرب فيها سنتَين.

المرحلة الثانية: مرحلة السطوح

وفيها يدرسون السطوح من كتب الفقه، ومنها الروضة البهيَّة في شرح اللمعة الدمشقيَّة لمحمَّد جمال الدين مكِّي العامليّ (ت٧٨٩هـ/ ١٣٦٥م)، والمكاسب للشيخ مرتضى الأنصاريّ (ت١٢٨١هـ/ ١٨٨٠م)، وكفاية الأصول للمحقِّق الخراسانيّ (ت١٣٢٩هـ/ ١٩٠٨م)، وغيرها من الكتب، وتستمرُّ فيها الدراسة أربع سنوات.

المرحلة الثالثة: مرحلة الخارج

تعدُّ هذه المرحلة بداية التحقيق، وإبداء النظر والاجتهاد، حيث يحضر الطالب بحث الأصول، وبحث الفقه، ومن اللازم عليه أن يكون الطالب في مستوى استيعاب الدرس الذي يستغرق ثلاثة أرباع الساعة أو أكثر، من دون كتاب يَقرَأ فيه، ولذا تُسمَّى هذه المرحلة بالخارج؛ لأنَّ الأستاذ يُلقي الدرس من دون كتاب، ويجب على الطالب الانتباه الكامل إلى الدرس؛ لاستيعابه، فيكون التدريس من خارج الكتب، وقد اعتاد علماؤنا المحقِّقون أن يدرِّسوا علم أصول الفقه في مرحلة الخارج على ترتيب أبحاث كتاب كفاية الأصول، حيث يستعرض الموضوع، ويذكر آراء العلماء.

قد يستغرق دراسة أبحاث علم أصول الفقه من أوَّلها إلى آخرها مدَّة تتراوح من ثمانية أعوام إلى عشرة أعوام، بحسب كيفيَّة تدريس الأستاذ، من ناحية التعمُّق والتوسُّع وعدمها، وقد يحتاج البعض إلى عشرين سنة في بحث الخارج، وربَّما لا يبلغ درجة الاجتهاد[١].

إنَّ هذا التفصيل اليسير في مواد الحوزة العلميَّة ومناهجها، للوصول إلى درجة الاجتهاد، جاء لمعرفة المقام العلميّ لفخر المحقِّقين الحِلِّيّ، وكيف أنَّه اختصر الزمن، وأتقن العلوم، وهو في مقتبل العمر، وهذا يدلُّ على امتلاكه القدرة العلميَّة التي تُعدُّ إحدى مدلولات الذكاء، علمًا أنَّ النظريَّة الشائعة للذكاء يمكن أن تتلخَّص بالقول: «إنَّه قابليَّة تنطوي تحت لوائها جميع القدرات.. فمن الناس من تتطوَّر لديهم القدرة العلميَّة أو القانونيَّة، وحتَّى الإجراميَّة... وذلك بالاستناد إلى عوامل أخرى كالولع والتربية والخبرة، وغيرها»[٢].

ويُرى الباحثون في العلوم النفسيَّة والتربويَّة، أنَّ التفوُّق العلميّ له عدَّة عوامل، منها:

١. **العوامل الوراثيَّة والبيئيَّة**: العامل الوراثيّ له تأثير في النموِّ العقليّ، وما يتعلَّق بالقدرة على الإدراك والتعلُّم والتفكُّر.

٢. **العوامل الأسريَّة**: وهو ما يتعلَّق بثقافة الأسرة، وكيفيَّة تصرُّف الوالدين في نشأة أولادهم.

(١) للمزيد ينظر: محمَّد الغرويّ، الحوزة العلميَّة في النجف الأشرف، (ط١، دار الأضواء للطباعة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م): ٢٥١ وما بعدها، شبكة الإمام عليّ: www.imamali-a.com.

(٢) عبَّاس مهدي، الذكاء والتفوُّق في علم النفس والمجتمع، (ط١، دار الثورة للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٧م): ٣٤.

٣. **العوامل الاجتماعيَّة**: ثبت أنَّ طبيعة الجماعة التي ينتمي إليها الفرد قد تؤثِّر فيه، فتجعل منه شخصًا مبتكرًا ومنتجًا، فمعايير الجماعة القائمة على الحريَّة الفرديَّة تساعد على التفوُّق العقليّ.

٤. **العلاقات الواسعة في البيئة المحليَّة**: وهي تؤثر في نمو الطفل المتفوِّق؛ لأنَّها تهيِّء له فرصًا أكبر للتعلُّم في سنٍّ مبكِّرة، وفرصًا أكثر للاكتشاف[١].

هذه العوامل وغيرها قد تهيَّأت لفخر المحقِّقين، فهو ابن العلَّامة الحِلِّيّ الذي تُشدُّ الرِّحال إليه؛ لطلب العلم، فتكون البيئة التي عاشها ذات طابع علميّ، ولعلَّ هناك من يسأل: ألم تتهيَّأ هذه العوامل لغيره، فلماذا لم يحصل على النبوغ الفكريّ المبكِّر؟ والجواب على ذلك أنَّ الله تبارك وتعالى قد شمله برعايته الخاصَّة، ونظر إليه بعينه التي لا تنام؛ ليخدم هذه الأمَّة ويكون عَلَمًا يُقتدى به.

(١) للمزيد ينظر: محاضرات الأستاذ سيف طارق حسين، كليَّة التربية الأساسيَّة، جامعة بابل: www.uobabylon.edu.lq.

تلاميذ فخر المحقِّقين الحِلِّيّ

قضى فخر المحقِّقين الحِلِّيّ حياته في الدراسة والتأليف، فقد ترك جيلًا من العلماء ممَّن تلمذوا على يده، أو سمعوا منه، وفيما يأتي ترجمة لبعض منهم:

١. **فخر الدين أحمد بن عبد الله بن سعيد بن المتوَّج البحرانيّ**: شيخ ابن فهد الحِلِّيّ (ت٨٤١هـ)، تلميذ فخر المحقِّقين، أحب كتاب الناسخ والمنسوخ في الآيات القرانيَّة[١].

٢. **جمال الدين أحمد بن عبد الله بن محمَّد بن علي بن الحسن بن المتوَّج البحرانيّ**: من أجلَّاء تلاميذ فخر المحقِّقين (ت٧٧١هـ)، وصاحب كتاب الناسخ والمنسوخ، كان معاصرًا للشهيد الأوَّل (ت٧٨٦هـ)[٢]، وهو غير فخر الدين الذي مرَّ ذِكره.

٣. **الشيخ فخر الدين أحمد بن محمَّد بن عبد الله السبعي**: الفقيه المشهور المتوطِّن بلاد الهند، من أجلِّ تلاميذ الشهيد، وفخر المحقِّقين[٣].

٤. **الآمليّ، حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسينيّ (ت بعد ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م) بهاء الدين الطبريّ القاشيّ**: فقيه، متكلِّم، مفسِّر، من أهل آمل بطبرستان، نشأ بالحِلَّة، واستقرَّ ببغداد، وصنَّف كتبًا، منها: الكشكول فيما جرى على

(١) جعفر السبحانيّ، مفاهيم القرآن، تحقيق: جعفر الهادي، (ط٣، مؤسَّسة الامام الصادق عليه السلام، قم، ١٤٢٠هـ): ٣٦٧.
(٢) المرجع نفسه: ٣٦٧.
(٣) جعفر السبحانيّ، تاريخ الفقه الإسلاميّ وأدواره، (دار الأضواء، بيروت): ١/ ٢٧٣.

آل الرسول، كتاب في التفسير وأمثلة في التوحيد، وغيرها[1]، وفي خاتمة المستدرك أنَّه تلمذ على يد فخر المحقِّقين[2].

٥. **الشيخ عليّ بن يوسف بن عبد الجليل النيليّ**: يروي عنه ابن فهد الحِلِّيّ، وهو يروي عن فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن المطهَّر عن والده العلَّامة الحِلِّيّ، كان حيًّا حدود ٧٧٥هـ، وهو من أجلِّ متكلِّمي الإماميَّة وفقهائهم، صنَّف كتاب منتهى السؤول في شرح الفصول للخواجة نصير الدين الطوسيّ في علم الكلام، وكتب بخطِّه ثلاثة وأربعون حديثًا عن النبيّ صلى الله عليه وآله لأستاذه فخر المحقِّقين، فرغ من كتابته في ربيع الثاني سنة ٧٥٩هـ[3].

٦. **نظام الدين عليّ بن عبد الحميد النيليّ**: وهو شيخ فقيه ورع، يروي عنه الشيخ أحمد بن فهد الحِلِّيّ، وهو يروي عن شيخه فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن المطهَّر الحِلِّيّ[4].

٧. **الشيخ شمس الدين أبو عبد الله، الشهيد محمَّد بن مكِّي العامليّ الجزِّينيّ (ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)**: أصله من النبطيَّة في بلاد عامل، سكن (جزِّين) بلبنان، اتُّهم بانحلال العقيدة، فسُجِن في قلعة دمشق، ثمَّ ضُرِبت عنقه، فلُقِّب

(١) الزركليّ، الأعلام: ٢/ ٢٩٠.

(٢) الطبرسيّ، حسين النوريّ (ت١٣٢٠هـ/ ١٩١٨م)، خاتمة مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث: ١/ ٤٠٦.

(٣) البروجرديّ، عليّ أصغر بن محمَّد شفيع (ت١٣١٣هـ/ ١٩١٢م)، طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، تحقيق: مهدي الرجائيّ، (ط١، منشورات مكتبة المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤١٠هـ): ١/ ٨٥، موسوعة أصحاب الفقهاء، مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام: ١٦٤ رقم ٢٧٨١.

(٤) البروجرديّ، طرائف المقال: ١/ ٨٥.

بالشهيد الأوَّل، روى عن فخر الدين ابن العلَّامة الحِلِّيّ، من كتبه اللمعة الدمشقيَّة، والرسالة الألفيَّة، والرسالة النقليَّة، والدروس الشرعيَّة وغيرها، وكلُّها في فقه الشيعة[1].

ورد في كتاب الفوائد الرجاليَّة: «وتربَّى على يد العلَّامة رحمه الله من العلماء العدد الكثير، وفاقوا علماء الأمصار، وهاجر إليه الشهيد الأوَّل من جبل عامل؛ ليقرأ عليه فوجده قد توفِّي، فقرأ على ولده فخر المحقِّقين أبي طالب محمَّد... قرأ عليه تيمُّنا وتبرُّكًا لا حاجةً وتعليمًا، لذلك قال فخر المحقِّقين: استفدت منه أكثر ممَّا استفاد منِّي»[2].

إنَّ وجوده في مدينة الحِلَّة، واحتكاكه بفخر المحقِّقين حقَّق فائدة علميَّة كبيرة، نتج عنها تأليف كتاب اللمعة الدمشقيَّة، الذي هو أحد المناهج الدراسيَّة في الحوزات العلميَّة إلى الآن، وهذا يعني أنَّ مدينة الحِلَّة لها فضل على الحياة العلميَّة في الحوزات الإسلاميَّة الدينيَّة.

(١) الحرُّ العامليّ، محمَّد بن الحسن بن عليّ (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م)، أمل الآمل، تحقيق: أحمد الحسينيّ، مطبعة الآداب، النجف الأشرف: ١٨٢، الزركليّ، الأعلام: ٧/ ١٠٩.

(٢) بحر العلوم، محمَّد المهدي (١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م)، الفوائد الرجاليَّة، تحقيق: محمَّد صادق بحر العلوم، (ط١، مطبعة أفتاب، طهران، ١٩٦٣م): ٢/ ٢٥٧.

الآثار العلميَّة لفخر المحقِّقين الحِلِّيّ

ترك فخـر المحقِّقين الحِلِّيّ آثارًا علميَّة مهمَّة، لازالت محطَّ أنظار العلماء والباحثين، فقد صنَّف كتبًا في الفقه، والأصول، وعلم الكلام، وغيرها، وكذلك قدَّم شرحًا لبعض كتب أبيـه العلَّامة الحِلِّيّ، فبهذا يكون قد علم علمه وعلم أبيه، وفيما يأتي عناوين بعض هذه الكتب:

١. نهج المسترشدين في أصول الدين.

٢. جامع الفوائد في الفقه.

٣. الكافية الوافية في علم الكلام.

٤. غاية البادي في شرح المبادي.

٥. غاية السؤول في شرح تهذيب الأصول.

٦. تحصيل النجاة.

٧. مناسك الحجِّ.

٨. أجوبة المسائل الحيدريَّة) ألَّفه لأحد تلاميذه: السيِّد حيدر الآمليّ.

٩. الرسالة الفخريَّة في النيَّة.

١٠. رسالة إرشاد المسترشدين.

١١. أجوبة مسائل السيِّد مهنَّا بن سنان المدنيّ.

وكان والـده قد صنَّف، إجابةً لالتماسـه، كتبًا كثيرة، وطلب منـه في وصيَّته له بأن يُكمل ما لم يتمَّ من كتبه، وأن يُصحِّح ما يجده فيها من الخطأ[1].

هـذه الوصيَّة تُعدُّ شـهادة من العلَّامة الحِـلِّيّ بالمقام العلميّ الـذي وصل إليه فخر المحقِّقين.

(١) لمعرفـة المزيد في آثـار فخر المحقِّقين الحِلِّـيّ، ينظر في كتب التراجم وفهـارس الكتب، ومنها: موسوعة طبقات الفقهاء، إشراف الفقيه: جعفر السبحانيّ: ٨/ ١٩١-١٩٣، كحالة، عمر رضا، معجم المؤلِّفين، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت: ٩/ ٢٢٩.

الآراء العلميَّة لفخر المحقِّقين الحِلِّيّ

ورد في كتب التراث الإسلاميّ ذِكرُ آراء فخر المحقِّقين الحِلِّيّ في اختصاصات متعدِّدة، كالفلك، والتفسير، والفقه، وغيرها، وفيما يأتي بعض هذه الآراء:

كرويَّة الأرض

ورد في كتاب الحبل المتين ما نصُّه: «قال العلَّامة قدَّس الله روحه في كتاب الصوم من التذكرة: إنَّ الأرض كُرة، فجاز أن يُرى الهلال في بلد، ولا يظهر في آخر؛ لأنَّ حدبة الأرض مانعة لرؤيته، وقد رصد ذلك أهل المعرفة، وشوهد بالعيان خفاء بعض الكواكب الغربيَّة لمن جدَّ في السير نحو المشرق، وبالعكس... وقال ولده فخر المحقِّقين رحمه الله في الإيضاح: الأقرب أنَّ الأرض كرويَّة؛ لأنَّ الكواكب تطلع من المساكن الشرقيَّة قبل طلوعها من المساكن الغربيَّة...»[1].

نلاحظ أنَّ الشيخ البهائيّ (ت١٠٣١هـ) كان قد استشهد برأي العلَّامة الحِلِّيّ، وولده فخر المحقِّقين، في هذه المسالة الفلكيَّة من كتاب إيضاح الفوائد في شرح القواعد، وهو كتاب من تأليف العلَّامة، وشرح ولده، وهذا الاستشهاد دليل المقام العلميّ لهما بين العلماء، والدرجة العلميَّة الرفيعة التي بلغها العلَّامة، وولده فخر المحقِّقين.

أفضليَّة أمير المؤمنين عليه السلام

ورد في كتاب الدرر الملتقطة النصُّ الآتي: «قال فخر المحقِّقين في جواب من سأله عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: هل هو أفضل من سائر الأنبياء ما خلا نبيِّنا صلوات الله

(١) بهاء الدين العامليّ (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م): الحبل المتين، منشورات مكتبة بصيرتي، قم: ١٩٤.

عليهم من غير تفصيل، أم هو أفضل من بعضهم دون بعض؟ وما الحجَّة في تفضيله عليهم؟ وهل يكون حُكم باقي الأئمَّة عليهم السلام من ولدِه هذا الحكم أم لا؟.

قال: هذا أمرٌ مختصٌّ به صلوات الله عليه، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أفضل من سائر الأنبياء غير النبيّ صلى الله عليه وآله، ودليله قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[1]، أجمع المفسِّرون على أنَّ المراد بالنفس هو عليّ عليه السلام، والاتِّحاد محال، فلم يبقَ إلَّا المساواة، ومساوي الأفضل، أفضل قطعًا»

ويعقِّب صاحب كتاب الدرر الملتقطة بالقول: «والظاهر أنَّه سلك مسلك أبيه من دون تأمُّل ولا تدبُّر؛ لحُسن ظنِّه به»[2]، يبدو أنَّ صاحب الكتاب له رأي أو تعقيب على رأي فخر المحقِّقين الحِلِّيّ في أفضليّة أمير المؤمنين عليه السلام، ولا يسمح البحث المتواضع في الخوض في هذا الموضوع.

أمَّا في الفقه، فله آراء فقهيَّة كثيرة، يُشير إليها العلماء في أثناء شرح المسائل الفقهيَّة، وللاطِّلاع عليها، يمكن مراجعة كتب الفقه لعلماء الشيعة، أمثال ابن فهد الحِلِّيّ[3].

ويمكن لنا أن نعرض رأي فخر المحقِّقين الحِلِّيّ في مسألة السِّحر، فهو من الممارسات المشاعة بين المتخلِّفين فكريًّا، يقول فخر المحقِّقين الحِلِّيّ فيه: «إنَّه استحداث الحوادث والخوارق، إمَّا بمجرَّد التأثيرات النفسانيَّة، وهو السحر، أو بالاستعانة

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) المازندرانيّ، محمَّد إسماعيل بن الحسين بن محمَّد رضا (ت١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م)، الدرر الملتقطة في تفسير الآيات القرآنيَّة، تحقيق: مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم: ٨٠.

(٣) ابن فهد الحِلِّيّ، أحمد بن محمَّد بن فهد الأسديّ (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، الرسائل العشر، تحقيق: مهدي الرجائي، (ط١، مطبعة سيِّد الشهداء عليه السلام، الناشر: مكتبة المرعشيّ العامَّة، قم المقدَّسة، ١٤٠٩هـ.

بالفلكيَّات فقط، وهو دعوة الكواكب، أو على تمزيج القوى السماويَّة بالقوى الأرضيَّة، وهو الطلمسات، أو على سبيل الاستعانة بالأرواح الساذجة، وهو العزايم، ويدخل فيه النيرنجات، والكلُّ حرام في شريعة سيِّد المرسَلين»[1].

إنَّ فتوى فخر المحقِّقين الحِلِّيّ في تحريم السحر، إنَّما جاء لرقيِّ فكره، ولاستناده إلى العلم، وعلمه بمفهوم السحر، وكان قد ورد تفسيره في كتاب الكليَّات، حيث ورد النصُّ الآتي: «صنف من السِّحر، وهو تأثير النفوس البشريَّة القويَّة فيها قوَّتا التخيُّل والوهم، في نفوس بشريَّة أخرى ضعيفة فيها هاتان القوَّتان، كنفوس البله والصبيان والنساء والعوام، الذين لم تقوَ قوَّتهم العقليَّة على قمع التخيُّل، وترك عادة الانقياد، فتتخيَّل ما ليس بموجود في الخارج موجودًا فيه، وما هو موجود فيه تتخيَّله على ضدِّ الحال التي هو عليها، ومن هذا القبيل ما فعله سحرة فرعون، والثاني كتأثير السموم والأدوية في الأبدان، ويدخل فيه أجناس النيرنجات والطلمسات، فإنَّها بتأثير بعض المركَّبات في بعض، بخواص تخصُّ كلَّ واحدةٍ منهما، كجذب المغناطيس، وكهرب باغض الخل من الخل... وتأثير الحجر...»[2].

وهكذا فإنَّ آراء فخر المحقِّقين الحِلِّيّ لازالت في عيون الباحثين، وذلك لأنَّه يرتكز على موسوعة علميَّة واسعة، يهدف منها تثبيت المرتكزات الأساسيَّة الصحيحة للمادَّة العلميَّة المطلوبة؛ لتسير باتِّجاه صحيح، ممَّا يؤدِّي إلى فتح آفاق المعرفة التي بها تزدهر الحركة العلميَّة وتسمو؛ لتصبح مصدر إشعاع إلى المجتمع في عصره والعصور التي بعده.

(١) الشيخ الجواهريّ، محمَّد حسن النجفيّ (ت١٢٦٦هـ/ ١٧٨٨م)، جواهر الكلام، تحقيق: عليّ الآخونديّ، (ط٩، مطبعة حيدري، طهران، ١٣٦٨هـ): ٢٢/ ٨٠.

(٢) أبو البقاء الكفويّ، أيُّوب بن موسى الحسينيّ (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م)، معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة، تحقيق: عدنان درويش، ومحمَّد المصريّ، (مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م): ٤٢٤-٤٣٦.

بعض من روى عن فخر المحقِّقين الحِلِّيّ منذ وفاته حتَّى عصرنا هذا

ترك فخر المحقّقين الحِلِّيّ ثروة علميَّة مهمة، متمثلة بمؤلّفاته وشروحه على مؤلفات والده العلّامة كما مرَّ بنا أصبحت جزءًا مهمًّا من مصادر العلماء والباحثين بعده في التأليف والبحث العلمي، وفيما يأتي اسماء بعض الفقهاء الذين رووا عنه أو استشهدوا بآرائه في مصنَّفاتهم، منذ وفاته وحتى عصرنا هذا مع ذكر عناوين كتبهم التي أشارت إلى ذلك:

القرن التاسع الهجريّ/ الخامس عشر الميلاديّ

١. ابن فهد الحِلِّيّ، أحمد بن محمَّد بن فهد الأسديّ (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، المهذب البارع في شرح النافع، تحقيق: الشيخ مجتبى العراقي، (مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم المشرَّفة، ١٤١٣هـ)، في هامش الكتاب استشهادات بأقوال فخر المحقِّقين الحِلِّيّ.

٢. ابن طيِّ الفقعانيّ، أبو القاسم عليّ بن عليّ بن محمَّد بن طيّ الفقعانيّ العامليّ (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) الدرُّ المنضود، تحقيق: محمَّد بركت، (ط١، مطبعة أمير، قم، ١٤١٨هـ).

القرن العاشر الهجريّ/ السادس عشر الميلاديّ

٣. المحقِّق الكركيّ، علي بن الحسين بن عبد العالي الكركيّ العامليّ (ت٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م)، جامع المقاصد في شرح القواعد، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام

لاحياء التراث، (ط١، المطبعة المهديَّة، قم، ١٤٠٨هـ)، في حاشية الكتاب استشهادات بأقوال فخر المحقِّقين.

٤. الشهيد الثاني، زين الدين بن عليّ بن أمد العامليّ الشاميّ (٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م)، الروضة البهيَّة في شرح اللمعة الدمشقيَّة، تحقيق وإشراف: السيِّد محمَّد كلانتر، (ط١، مطبعة أمير، قم، منشورات جامعة النجف الدينيَّة، ١٤١٠هـ).

٥. رسائل الشهيد الثاني، منشورات مكتبة بصيرتي، قم (طبعة حجريَّة)، وغير هذه من كتب الشهيد الثاني، مثل مسالك الإفهام، وروض الجنَّات.

٦. المحقِّق الأردبيليّ، أحمد بن محمَّد الأردبيليّ الأذربيجانيّ (ت٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م)، زبدة البيان في براهين أحكام القرآن، تحقيق وتعليق: محمَّد الباقر البهبوديّ، منشورات المكتبة الرضويَّة لإحياء الآثار الجعفريَّة، طهران، وكذلك كتاب مجمع الفائدة.

القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلاديّ

٧. البحرانيّ، محمَّد بن عليّ بن حسين الموسويّ العامليّ (ت١٠٠٩هـ/ ١٦٠١م)، مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مشهد المقدَّسة، (ط١، مطبعة مهر، قم، ١٤١٠هـ)، وكذلك كتاب نهاية المرام، تحقيق: آغا مجتبى العراقيّ وآخرون، (ط١، منشورات مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة).

٨. البهائيّ العامليّ، محمَّد بن عزِّ الدين حسين بن عبد الصمد (بهاء الدين) الحارثيّ الهمدانيّ (ت١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م)، مشرق الشَّمسَين، منشورات مكتبة بصيرتي، قم (طبعة حجريَّة).

كذلك: كتاب (الاثنا عشريَّة)، تحقيق محمَّد الحسُّون، (ط١، مطبعة بهمن، قم، منشورات مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، ١٤٠٩هـ).

٩. المحقِّق السبزواريّ، محمَّد باقر بن محمَّد مؤمن الخراسانيّ السبزواريّ (ت١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م)، كفاية الأحكام، تحقيق: مرتضى الواعظيّ الأراكيّ، (ط١، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، ١٤٣١هـ).

١٠. المحقِّق الخوانساريّ، حسين بن محمَّد بن حسين (ت١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م)، مشارق الشموس في شرح الدروس، (مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، طبعة حجريَّة)

القرن الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ

١١. الفاضل الهنديّ، محمَّد بن حسن بن محمَّد الأصبهانيّ (ت١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م)، كشف اللثام عن قواعد الأحكام، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

١٢. عبد الله الجزائريّ (ت١١٨٠هـ/ ١٧٥٣م)، التحفة السنيَّة، (نسخة مخطوطة في مكتبة استانة قدس، خط عبد الله نور الدين بن نعمت).

١٣. المحقِّق البحراني، يوسف بن عصفور (ت١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م)، الحدائق الناضرة، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

القرن الثالث عشر الهجريّ/ نهاية القرن الثامن عشر و القرن التاسع عشر الميلاديّ

١٤. الوحيد البهبهانيّ، محمَّد باقر (١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م)، الرسائل الفقهيَّة، (ط١، مطبعة أمير، ١٤٩١هـ، منشورات مؤسَّسة العلَّامة المجدِّد الوحيد البهبهانيّ).

كذلك: كتاب حاشية مجمع الفائدة والبرهان، (ط١، ١٤١٧هـ، منشورات مؤسَّسة العلَّامة المجدِّد الوحيد البهبهانيّ).

١٥. العامليّ، محمَّد جواد بن محمَّد بن محمَّد بن حيدر الحسنيّ العامليّ (ت١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، مفتاح الكرامة، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر الخالصيّ، (ط١، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٢٤هـ).

١٦. عليّ الطبطبائيّ، عليّ بن محمَّد بن عليّ بن أبي المعالي الطبطبائيّ الأصبهانيّ (ت١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)، رياض المسائل، (ط١، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٢هـ).

١٧. المحقِّق النراقيّ، أحمد بن محمَّد مهدي بن أبي ذر الكاشيّ (ت١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩م)، مستند الشيعة، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مشهد المقدَّسة.

١٨. الجواهريّ، محمَّد حسن النجفيّ (ت١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م)، جواهر الكلام، تحقيق: عبَّاس القوجانيّ، (ط٢، مطبعة خورشيد، ١٣٦٥هـ).

القرن الرابع عشر الهجريّ/ القرن العشرون الميلاديّ

١٩. آقا رضا الهمذانيّ، رضا بن محمَّد هادي الهمذانيّ (ت١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م)، مصباح الفقيه، (مطبعة حيدري، منشورات مكتبة الصدر، طهران، طبعة حجريَّة).

٢٠. محمَّد بحر العلوم، محمَّد بن محمَّد تقي بن رضا بن مهدي بحر العلوم الطبطبائيّ (ت١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م)، بُلغة الفقيه، تحقيق: محمَّد تقي آل بحر العلوم، (ط٤، منشورات مكتبة الصادق، طهران، ١٩٨٤).

٢١. السيِّد اليزديّ، محمَّد كاظم بن عبد العظيم الكسنويّ النجفيّ الحسنيّ (ت١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م)، حاشية المكاسب، (مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر، قم، طباعة حجريَّة).

٢٢. السيِّد الحكيم، محسن بن مهدي بن صالح بن أحمد الطبطبائيّ الحكيم (ت١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، مستمسك العروة الوثقى، (منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤٠٤هـ).

٢٣. السيِّد الخوئيّ، أبو القاسم بن عليّ أكبر بن هاشم تاج الدين الموسويّ (ت١٤١١هـ/ ١٩٩٢م)، مباني تكملة المنهاج، (ط٢، المطبعة العلميَّة، قم، ١٣٩٦هـ).

٢٤. السيِّد محمَّد صادق الروحانيّ (المولود سنة ١٩٢٦م)، منهاج الفقاهة، (ط٤، المطبعة العلميَّة، ١٤١٨هـ).

هذا يدلُّ على أنَّ فخر المحقِّقين الحِلِّيّ يمثِّل حزمة ضوء على طريق الفكر الإسلاميّ، منذ ظهوره في ميدان العلم والمعرفة، التي التصقت صفتها بعائلته الكريمة، وحتَّى عصرنا هذا، وما أسماء العلماء والفقهاء الذين وردَ ذِكرهم إلَّا أنموذج لعدد أكبر منهم، لا يمكن إحصائهم في هذا البحث، وهذا يكفي دليلًا على أنَّ فخر المحقِّقين الحِلِّيّ هو ثورة علميَّة ممتدَّة منذ أن ظهر نوره حتَّى عصرنا هذا.

الخاتمة

بعد ان أعانني الله تبارك وتعالى على إتمام هذا البحث المتواضع، حول عَلَم من أعلام الأمَّة الإسلاميَّة، ظهرت بعض النتائج التي تستحقُّ الإشارة إلى بعضها، وهي:

١. إنَّ موقع مدينة الحِلَّة الإستراتيجيّ، وما تمتلك من مقوِّمات أساسيَّة ساعدت على نشاط الحركة الفكريَّة فيها، ممَّا جعلها موطئ أقدام العلماء من المدن والأمصار الأخرى، فأعطاها الطابع العلميّ الذي أصبح مادَّة الباحثين في وقتنا هذا.

٢. أظهر البحث أنَّ مدينة الحِلَّة مصدِّرة للعلوم والآداب، ومؤثِّرة في البلدان الأخرى من خلال العلماء والأدباء الكبار الذين رحلوا عنها بعلومهم التي منبعها علماؤها الافاضل.

٣. نشأ في مدينة الحِلَّة علماء أعلام يُشار إليهم بالبنان في محافل العلم والأدب، وفي كلِّ زمان، وقد مرَّ في البحث ذِكر بعض هؤلاء الأعلام، ومنهم العلَّامة الحِلِّيّ، وفخر المحقِّقين، وابن فهد، وغيرهم.

٤. تميَّز العالم الكبير فخر المحقِّقين الحِلِّيّ بنبوغه الفكريّ المبكِّر، إذ نال الاجتهاد وهو في مقتبل العمر، مع الاجتهاد والاستعداد والملكات المستحصلة، إضافة إلى أسباب أخرى، منها أنَّه نشأ في بيت علم تطأه أقدام العلماء؛ لينالوا من علم أبيه العلَّامة الحِلِّيّ، وهذا يعني أنَّه في بيئة ينظرون إلى العالم والمتعلِّم بعين الإجلال والاحترام.

٥. إنَّ حصـول فخر المحقِّقين الحِلِّيّ على درجة الاجتهـاد في وقت مبكِّر معناه أنَّه اختزل الزمن، فقد تمكَّن من العلوم التي تُدَرَّس في ثلاث مراحل، وتسـتغرق أكثر من عشر سـنوات على أقل تقدير بالحـوزات العلميَّة الآن، ليصبح عالـمًا موثوقًا بعلميَّته.

٦. التأثُّر والتأثير بين العلماء قائم، وتلاقح الأفكار أمر طبيعي بين أصحاب العقول السـليمة من العلماء، وكان قد تلمذ على يد فخر المحقِّقين الحِلِّيّ نخبة من أجلِّ علماء زمانه، منهم الشـهيد الأوَّل أبو عبـد الله محمَّد بن مكِّي العامليّ صاحب كتاب اللمعة الدمشقيَّة، أحد الكتب المنهجيَّة المهمَّة في الحوزة العلميَّة، فيكون فخر المحقِّقين له جانب من الفضل على جميع مدارس الحوزات العلميَّة.

٧. إنَّ وصيَّة والده العلَّامة الحِلِّيّ في إتمام كتبه، وتصحيح ما يجده فيها من أخطاء، لهـوَ دليل على المقام العلميّ الذي بلغه فخـر المحقِّقين، ومن الممكن أن يكون قد فاق علم أبيه، إلَّا أنَّ الاحترام والأدب يجعله أن لا يتقدَّمه ولا يذكر ذلك.

٨. لفخـر المحقِّقين الحِلِّيّ آراء علميَّة في مجالات متعدِّدة، مرَّ في البحث ذِكر بعضٍ منها، وهذا يدلُّ على موسوعيَّته العلميَّة.

٩. يمثِّـل فخر المحقِّقين الحِلِّيّ حزمة ضوء على طريق الفكر الإسـلاميّ، فمنذ أن ظهـر نتاجه العلميّ، أصبح مصدرًا للعلـماء والباحثين حتَّى عصرنا هذا، وفي البحث أسـماء مجموعة من العلـماء ومؤلَّفاتهم التي تدلُّ عـلى ذلك، وهذا هو الأثر العلميّ الذي ورد في بعض كتب التراث الإسلاميّ.

وآخر قولي أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

١. ابـن الفوطيّ، كمال الديـن أبو الفضل عبد الـرزَّاق البغـداديّ (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، الحـوادث الجامعـة والتجـارب النافعـة في المائة السـابعة، تحقيق: د. مصطفى جواد، (مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥١هـ).

٢. ابـن بطُّوطة، أبو عبـد الله محمَّد بن إبراهيم اللواتـيّ (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، رحلـة ابـن بطُّوطة، تقديم: كرم البسـتانيّ، (دار صادر، بـيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٩٠م).

٣. ابـن جبير، محمَّد بن أحمد بن جبير الكنـانيّ (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، (دار التراث، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

٤. ابن خلِّكان، أبو العبَّاس شمس الدين أحمد بن محمَّد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)، وفيـات الأعيـان وأنباء أبنـاء الزمـان، تحقيق: إحسـان عبَّـاس، دار صادر، بيروت.

٥. ابن داوود، تقي الدين الحسن بن عليّ بن داوود الحِلِّيّ (ت٧٤٠هـ/ ١٣٣٨م)، رجال ابن داوود الحِلِّيّ، (المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٦. ابـن فهـد الحِلِّـيّ، أحمد بـن محمَّد بن فهد الأسـديّ (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، الرسـائل العشر، تحقيق: مهدي الرجائي، (ط١، مطبعة سـيِّد الشـهداء عليه السلام، الناشر: مكتبة المرعشيّ العامَّة، قم المقدَّسة، ١٤٠٩هـ).

٧. ابن ناصر الدين، شمس الدين محمَّد بن عبد الله بن محمَّد القيسيّ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكُناهم، تحقيق: محمَّد نعيم العرقسوسيّ، (ط١، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م).

٨. أبو البقاء الكفويّ، أيُّوب بن موسى الحسينيّ (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م)، معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة، تحقيق: عدنان درويش، ومحمَّد المصريّ، (مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

٩. آقا بزرك الطهرانيّ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت.

١٠. بحر العلوم، محمَّد المهدي الطبطبائيّ (ت١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م)، الفوائد الرجاليَّة، تحقيق: محمَّد صادق بحر العلوم، الناشر: مكتبة الصادق، (ط١، مطبعة أفتاب، طهران).

١١. البروجرديّ، عليّ أصغر بن محمَّد شفيع (ت١٣١٣هـ/ ١٩١٢م)، طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، تحقيق: مهدي الرجائيّ، (ط١، منشورات مكتبة المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤١٠هـ).

١٢. بهاء الدين العامليّ (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م): الحبل المتين، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

١٣. البهائيّ، الشيخ محمَّد حسن عبد الصمد العامليّ، زبدة الأصول، المنهج الرابع في الاجتهاد والتقليد.

١٤. التفريشيّ، مصطفى بن الحسين الحسينيّ (القرن ١١ الهجريّ)، نقد الرجال، (ط١، مطبعة ستاره، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، ١٤١٨هـ).

١٥. جعفر السبحانيّ، تاريخ الفقه الإسلاميّ وأدواره، (دار الأضواء، بيروت).

١٦. جعفر السبحانيّ، مفاهيم القرآن، تحقيق: جعفر الهادي، (ط٣، مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ١٤٢٠هـ).

١٧. الجواهريّ، الشيخ محمَّد حسن النجفيّ (ت١٢٦٦هـ/ ١٧٨٨م)، جواهر الكلام، تحقيق: عليّ الآخونديّ، (ط٩، مطبعة حيدري، طهران، ١٣٦٨هـ).

١٨. الحرُّ العامليّ، محمَّد بن الحسن بن عليّ (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م)، أمل الآمل، تحقيق: أحمد الحسينيّ، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

١٩. الحمويّ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٦م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.

٢٠. الخاقانيّ، عليّ (ت ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)، رجال الخاقانيّ، تحقيق: محمَّد صادق بحر العلوم، (ط٢، مركز الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٤٠٤هـ).

٢١. الذهبيّ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، (ط٩، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٢٢. الزركليّ، خير الدين، الأعلام، (ط٥، دار العلم للملايين، بيروت).

٢٣. السلاميّ، عبَّاس الأنصاريّ، مباحث في الاجتهاد، (ط١، مطبعة ثامن الحجج عليه السلام، ١٤٣٩هـ).

٢٤. الطبرسيّ، حسين النوريّ (ت١٣٢٠هـ/ ١٩١٨م)، خاتمة مستدرك الوسائل، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث.

٢٥. عادل العلويّ، النبوغ وسرُّ النجاح في الحياة، المؤسَّسة الإسلاميَّة العامَّة للتبليغ والإرشاد، قم، ١٣٧٨هـ.

٢٦. عبَّاس القمِّي، الكنى والألقاب، (مكتبة الصدر، طهران).

٢٧. عبَّاس مهدي، الذكاء والتفوُّق في علم النفس والمجتمع، (ط١، دار الثورة للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٧م).

٢٨. العسقلانيّ، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تقديم: محمَّد سيِّد جاد الحق، (مطبعة المدنيّ، مصر، دار الكتب الحديثة).

٢٩. العلَّامة الحِلِّيّ، نهاية الإحكام في معرفة الأحكام، تحقيق: مهدي الرجائيّ، (مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، قم).

٣٠. فخر الدين الطريحيّ (ت ١٠٨٥هـ/ ١٦٨٥م)، مجمع البحرين، (ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٥م).

٣١. القفطيّ، جمال الدين أبو الحسن عليّ بن يوسف الشيبانيّ (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، تاريخ الحكماء، منشورات مكتبة المثنَّى، بغداد.

٣٢. اللجنة العلميّة في مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء، إشراف: جعفر السبحانيّ، (ط١، مطبعة اعتماد، قم، ١٤١٩هـ).

٣٣. المازندرانيّ، محمَّد إسماعيل بن الحسين بن محمَّد رضا (ت١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م)، الدرر الملتقطة في تفسير الآيات القرآنيَّة، تحقيق: مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم.

٣٤. المجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقي (ت١١١١هـ/ ١٧٠٠م)، بحار الأنوار، (ط٢، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٣٥. محاضرات الأستاذ سيف طارق حسين، كليَّة التربية الأساسيَّة، جامعة بابل: www.uobabylon.edu.lq.

٣٦. محمَّد الخضر حسين، النبوغ في العلوم والفنون، موسوعة الدرر السنيَّة: article /Dorar. net.

٣٧. محمَّد الغرويّ، الحوزة العلميَّة في النجف الأشرف، (ط١، دار الأضواء للطباعة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٣٨. المقدسيّ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق: محمَّد أمين الضنَّاويّ، (ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م).

٣٩. النمازي، علي بن محمَّد بن إسماعيل، مستدرك سفينة البحار، (ط٣، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم المشرَّفة).

٤٠. هناء كاظم الربيعيّ، أثر مدينة الحِلَّة على الحياة الفكريَّة في العراق (من القرن السادس إلى نهاية القرن الثامن الهجريَّين)، أطروحة دكتوراه، كليَّة التربية، الجامعة المستنصريَّة.

٤١. اليسوعيّ، فردينان توتل، المنجد في الآداب والعلوم، المطبعة الكاثوليكيَّة، بيروت.

٤٢. يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة، الناشر: محمَّد صادق الكتبيّ.